المراغي عدو الاستعمار

وفي كل زمان تزخر الساحة الاسلامية بهؤلاء الخونة، الذين خانوا أمانتهم ورسالتهم وعلمهم ودينهم وأمتهم فعاشوا في ظل السلاطين يخشونهم كخشية الله أو أشد، ويسبحون بحمدهم ويقدمون مصالحهم على مصالح البلاد والعباد.. وفي وسط هذه الغيوم، يخرج من العلماء من يعلنون الحق، ويظهرون لواءه، غير خائفين أو وجلين، يقفون في وجه الباطل بصمود يتحدى الجبال.. يثورون على الطمع والجور، فيركلون بجرأة كل محاولة طاغية تسرق أحلام الشعوب.

لقد كان الشيخ (محمد مصطفى المراغي) واحدًا من هؤلاء العظماء الذين وقفوا أمام الأخطاء بكل شجاعة، وواجهوا في نصرة الحق متاعب كثيرة، خالفوا فيها أصحاب النفوذ والسلطان، وردوهم عن غايتهم التي تخالف دينهم وضميرهم ونفوسهم الحرة الأبية.

يقول الأستاذ (فكري أباظة) في كلماته التي يصف بها الشيخ المراغي: "كان الإمام المراغي شخصية فذة ممتازة قوية، صمدت أمام كل سلطة في البلد، حين شاء الإباء الشخصي أن يصير، وقاومت حين شاءت الكرامة الشخصية أن تقاوم "

استطاع المراغي أن يحقق الصورة الكاملة لعزة الأزهر، وهيبة العالم الشريف النزيه، الذي يتعالى عن الأطماع والدنيا المُذلة المُهينة، بل استطاع أن يُعيد للأذهان صورة العلماء الأحرار، الذين واجهوا الكبر والصلف والغرور، كالنووي و ابن تيمية والعز بن عبد السلام، واستطاع بما أُثر عنه من مو اقف، أن يعزز من مكانة الأزهر ونفوذه على مسرح الأحداث.. هذه المو اقف التي دفعت الحاقدين من أنصار التغريب، ومن عاونهم من الخونة

وأصحاب المصالح، أن يتآمروا عليه، فيفرغونه من داخله، حتى لا يرميهم مع الأيام بمثل هذا النموذج الذي يؤرقهم، ويقف حائلاً بينهم وبين أطماعهم.. وفي هذه السطور.. نحاول أن نسجل بعض مواقف الشيخ الجليل، حتى تكون سلوة وقدوة لطلاب العلم، ليروا كيف كان العلماء الربانيين هم حملة الحق، والدروع المنيعة التي تقف أمام الباطل، وتواجه الظلم بكل شجاعة وجرأة وفدائية.

وسبحان الله.. في الوقت الذي نَجد فيه اليوم من علماء الأزهر من يخذلون الحق ويحاربون الحقيقة، ويسيرون في قوافل الحكم والسلاطين أبواقًا تزود عنهم وتحمي ظهورهم، تأتي مواقف المراغي لتصحح هذه الصورة القميئة، التي يتبرأ منها الأزهر وتتبرأ منها مكانةالعلماء.. فمن أشهر مواقفه السياسية خطبته أثناء الحرب العالمية الثانية في مسجد الرفاعي، التي أعلن فيها موقف مصر وأنه لا مصلحة لها من الاشتراك في الحرب، إذ لا ناقة فيها ولا جمل.. وقد أحدثت هذه الخطبة ضجة هائلة، قامت لها الحكومة المصرية وقعدت، واهتزت لها بريطانيا، هزًا عنيفًا، وطلبت إلى الحكومة المصرية بيانًا عن هذه الفكرة، واتصل به رئيس الوزراء وخاطبه في لهجة تفوح منها رائحة التهديد.. فثارت ثائرة المراغي وقال له: أمثلك يهدد شيخ الأزهر؟ وشيخ الأزهر أقوى بمركزه ونفوذه بين المسلمين من رئيس الحكومة، ولو شئت لرقيت منبر مسجد الحسين، وأثرت عليك الرأي العام، ولو فعلت لوجدت نفسك على الفور بين عامة الشعب.!

وفي سنة ١٩١٤م، كان الأتراك يحاربون الإنجليز، وكان الإنجليز في خوف شديد من اشتعال الشعور الديني في البلاد.. ولجأوا إلى وسائلهم المعروفة، وهي إغراء الزعماء الدينيين في العالم الإسلامي بإصدار فتاوى في تفسير معنى الحديث: الخلافة في قريش أو الأئمة من قريش، لأنهم يرون أن من شأن هذه

الفتوى أن تؤيد الرأي بأن الخلافة التركية، لا ينطبق عليها مثل هذا الحديث.. فجاء دور المراغي وأصدر فتواه التي أقر فيها، أنه ليس من شروط الخلافة أن يكون الخليفة قرشيًا، ولكن الضروري أن يكون مسلمًا ذا عصبية قوية، تستطيع أن تزود عن بلاد المسلمين، مهما كانت جنسيته، فمثل تركيا هي أقوى دُول الإسلام وينطبق عليها هذا الحديث.. ولم يستطع الإنجليز أن ينالوا منه مأربهم أو يخضعوه لغايتهم.

لقد كان المراغي صديقًا للرجل الحديدي رئيس وزراء مصر (محمد محمود) باشا، كما أنهما ينتميا لبيئة واحدة، وهي بيئة الصعيد، ورغم هذه الصداقة وهذ الرباط، لم يمتنع شيخ الأزهر أن يشهد فيه شهادة الحق حينما سئل من بعضهم: هل من الخير أن يؤلف محمد محمود باشا الوزارة؟ فقال: إن ذلك ليس من الخير ، وليس محمد محمود وحزبه موضع تقدير من الشعب، وأعتقد أن الوفد سينال الأغلبية لو أجريت انتخابات.. فلما قيل: نعرف أنك من أعز الأصدقاء لديه، فأجاب في حكمة وثبات: إن شيخ الإسلام لا يكذب.!

وحدث أن الخديوي ذهب مرة لتأدية الصلاة في أحد المساجد، فوجد إمام المسجد كفيفًا فقال للمراغي وكان يومها مفتشا للمساجد: كيف يكون إمام المسجد الذي أصلي فيه أعمى؟! فأجاب المراغي: إن الإسلام لا يشترط أن يكون الإمام أعمى أو بصيرًا، وهو القول الذي جعل الخديوي يخرج غاضبًا.. ولما و افق الإنجليز على تعيين المراغي قاضيًا لقضاة السودان، ذهب حسين رشدي باشا يعرض اسمه على الخديوي، فقال له: أنا لا أحب هذا الرجل، وقص قصة الفقيه الأعمى.. فأجابه رشدي باشا بقوله: هذا الرجل يشترط لقبوله للمنصب أن يكون تعيينه فيه بمرسوم مصري.. إنه يريد أن يحافظ

على حقوق البلاد، وهنا قال الخديوي : ما دام الأمر كذلك فأنا أوقع المرسوم.!

ومن المواقف المشهودة للمراغي حينما مر الملك جورج الخامس بالسودان، فأعلن أن العلماء والعظماء سيستقبلونه وقوفًا حول الباخرة، على ألا يصعد إلا الحاكم العام.. فما كان من المراغي إلا أن رفض أن يشترك في حفل الاستقبال، إلا إذا كان من حقه أن يصعد الباخرة في عرض البحر كالحاكم العام سواء بسواء، مما اضطر القائمون على تنظيم الاستقبال خرق قواعد الدبلوماسية، أمام إصرار الشيخ، فلما صعد إلى الباخرة سلم على الملك قائمًا منتصبًا، فلما سُئل لِم لَم تَنحَنِ للملك؟ قال: ليس في ديننا سجود لغير الله! يقول الأستاذ أنور الجندي: كان العلماء من قبله، لا يعملون كأنما قد حِيل بينهم وبين العمل، وكانوا لا يجهرون بكلمة الحق، أو كانت كلمة الحق نفسها لا تجد سبيلها إلى ألسنتهم أو نفوسهم، حتى جاء إمامنا فأعاد مجد العلماء الذي كاد أن يندثر.. أعاد مجد العلماء الذين كانوا يقرعون آذان أصحاب السلطان بكلمة الحق، أعاد ذكرى العز بن عبد السلام والدرير والنووي.. قال كلمته التي هزت الدنيا يوم أعلنت الحرب العالمية الثانية: هذه حرب لا ناقة لنا فيها ولا جمل.. واضطربت بريطانيا وارتجف الاستعمار، ووقف الشرق كله ينظر إلى الرجل الأعزل، الذي لم يخش إلا الله، والذي أعاد سيرة الأسلاف..

يقول العقاد: " لو كان أحد يستحق لقب الأستاذ الإمام بعد الإمام محمد عبده، لكان هو الشيخ المراغي" لقد قضى المراغي حياته مخلصًا لدينه، زائدًا عن حياضه، محاربًا لكل من يناهضه من التيارات والتحديات والأفكار الهدامة.. وكان من ذلك حربه لحملات التبشير التي انتشرت في السودان آنئذ، حيث احتج ووضح موقف الأزهر ضد التبشير، وأرسل لحكومة

السودان، وطالب بالتدخل لوقف هذا المد التبشيري (وقد حمل هذا الموقف المناهض من المراغي للنشاط التبشيري في السودان، أن قام رئيس الوزراء بإرسال برقية إلى الحاكم العام في السودان، يُبلغه احتجاج مصر وعلمائها على هذا العمل، فرد الحاكم العام سايمس بشرح الموقف، وطمأن مصر وعلماءها والإمام الأكبر على المسلمين في السودان) [1]

ومن المواقف التاريخية المشرفة للإمام المراغى؛ رفضه الاستجابة لطلب الملك فاروق ملك مصر، والخاص بإصدار فتوى تحرم زواج الملكة فريدة طليقته من أي شخص آخر بعد طلاقها، فرفض الشيخ المراغي الاستجابة لطلب الملك فاروق، فأرسل الملك فاروق بعض حاشيته، لكى يُلحوا عليه لإصدار هذه الفتوى، فرفض الشيخ المراغي، ولما اشتد عليه المرض دخل مستشفى المواساة بالإسكندرية، وهناك زاره الملك فاروق للاطمئنان عليه من ناحية، وللإلحاح عليه مرة أخرى لإصدار الفتوى الخاصة بتحريم زواج الملكة فريدة، فصاح الإمام المراغي، برغم ما كان يعانيه من شدة الألم بسبب المرض قائلًا:

"أما الطلاق فلا أرضاه، وأما التحريم بالزواج فلا أملكه، إن المراغي لا يستطيع أن يحرم ما أحل الله..!"

---

(١) الإمام المراغي – د. محمد الشحات الجندي